

شعرية القبح في رواية العين الأكثر زرقة لطوني موريسون
The Poetics of ugliness in The Novel "Bluest eye" By Toni Morrison

عدلان رويدي*

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الارسال

المخلص:

يحاول هذا المقال إلقاء الضوء على خطاب القبح في رواية "العين الأكثر زرقة" للكاتبة الأمريكية طوني موريسون. وهذا من خلال الوقوف على تعريف القبح وشعرية القبح في الرواية، إضافة إلى شعرية العنوان، ثم سرديات القبح والسرد المضاد، والرواية التاريخية والعرق.

كلمات مفتاحية: الشعرية - القبح - طوني موريسون - الرواية - العرق.

Abstract:

This Article attempts to shed light on the Discourse of ugliness in the Novel, " the Bluest eye "by American writer Toni Morrison; by Standing on the Definition of ugliness and the Poetics of ugliness in the Novel in Addition to the Poetics of Title and then the Narratives of ugliness and Counter-Narrative and Historical Novel and race.

Keywords: Poétiques - ugliness - Toni Morrison - Novel – Race.

*** **

* جامعة الصديق بن يحيى – جيجل - adlene.rouidi@univ-jijel-dz

مقدمة:

ملخص:

شغل موضوع القبح اهتمام الروائيين والروائيات في شتى أقطار العالم، خصوصا في الأدب الإفريقي والأدب الأفروأمريكي، بحكم قدرته على التعبير عن آلام العرق الأسود، وما يعيشه من قهر وظلم واستلاب، في مجتمع يهيمن عليه الرجل الأبيض بمختلف مؤسساته الإمبراطورية المتطرفة، وايدولوجيته العرقية العنصرية، وقد خلق هذه الموضوع تجربة جديدة في الكتابة الروائية التي يكتبها العرق الأسود والأيادي السوداء، مما ساهم في إثراء المشهد الأدبي الأمريكي المعاصر، بحكم نجاعته في تصوير الواقع المؤلم للزواج، وتوغله في شتى القضايا المحورية التي تهم هذا العرق البشري، فكان هذا الموضوع شديد السرعة والفعالية ضمن النصوص الروائية، واستطاعت سرديات القبح أن تقتحم الوسط الأدبي بسرعة فائقة، وتستحوذ على اهتمامات الأدباء الزواج في الولايات المتحدة الأمريكية، خصوصا وأن هذه السرديات تمثل ثورة على السرديات البيضاء، وتأسس لشكل جديد من الكتابة الروائية الثورية والمقاومة، لذلك تركت مفعولها بارزا على مستوى الساحة الأدبية والنقدية، من خلال ما خلفته من تصوّرات وأفكار تخصّ الجنس الأسود وهمومه المحورية وقضايا المعقدة.

وتمثل طوني موريسون *Toni Morrison*

نموذجا استثنائيا في الأدب الأفروأمريكي، حيث عبّرت عن هذا الواقع المؤلم والوضع المزري الذي يعيشه الزواج في المجتمع الأمريكي، حيث شيدت لنفسها معمارا روائيا متميزا، صنع لها في النهاية تجربة روائية فريدة، لها مكانتها الخاصة والمرموقة في الأدب النسوي الأمريكي المعاصر، والرواية على وجه الخصوص،

فكان لنصوصها الروائية مفعول كبير وتأثير بالغ على القراء والمثقفين في أمريكا، والساحة الأدبية والنقدية عموما، حيث مثّلت نصوص موريسون *Morrison* صوت الزوج المهمشين والمقموعين في أمريكا والعالم.

وقد أسست لتجربة جديدة في الكتابة، عبّرت من خلالها عن مواقفها المتعلقة بمسائل الزواج وقضاياهم في أمريكا، وما يعيشونه من قهر وإقصاء وتهميش، وفي مقدمة تلك القضايا قضية التمييز العنصري والاستعباد والاستعمار، وقد فتحت تجربتها الروائية هاته على أصعدة متعددة، من أجل إضاءة الجوانب المظلمة في هذه القضية الصعبة والمعقدة، ونقد مختلف الأطراف والمؤسسات الفاعلة فيها، السياسية منها والاجتماعية والاقتصادية، وقد حاولت طوني موريسون *Toni Morrison* تفكيك سرديات البيض والثقافة الغربية لكشف أقنعتها وأهدافها الحقيقية والصورة النمطية التي أخذت على الرجل الأسود عموما.

والإشكالية المطروحة هنا: كيف طرحت طوني موريسون موضوع القبح ضمن متنها الروائي؟ وماهي سمات وشعرية القبح في هذه الرواية؟

تهدف هذه الدراسة إلى الإجابة على هذه الإشكالية، وإبراز شعرية القبح في الرواية، وهذا من خلال اعتماد الخطة المنهجية التالية:

-طوني موريسون والتجربة الاستعمارية العرقية.

-القبح/اللون الأسود موضوعا ثقافيا في روايات طوني موريسون.

-سرديات القبح والسرد المضاد.

-العنوان مطالعا لشعرية القبح.

-الرواية التاريخية عند طوني موريسون

وسؤال اللون.

والتشكيلات السردية، بل ونقد السرديات الكبرى في الأدب الأمريكي، المكتوبة في ظل السياسة العرقية المتطرفة، التي اكتسبت شرعيتها عن طريق السلطة السياسية ومفعولها، وليس من خلال جمالياتها الأدبية والفنية وتراكيبها الأسلوبية، لذلك حاولت الرد بالكتابة على هذا المشروع الاستعماري القهري، الذي اختزل ثقافة الزوج وتاريخهم، وفي نفس الوقت تحاول تحليل القضية اجتماعيا ونفسيا، بحكم تخصصها الجامعي، فتقف على تحليل العرق الأسود من زاوية اجتماعية ونفسية، لاكتشاف الأسباب الكامنة وراء هذه النظرة الدونية، وعقدة العرق الأدنى عند الزوج أنفسهم، وهذا من بوابة الرواية، التي تمنحها الفضاء الكافي لطرح هذه القضايا، من خلال عناصر السرد المختلفة كالحدث والمكان والشخصيات والزمن.

2- القبح/اللون الأسود موضوعا ثقافيا

مركزيا في روايات موريسون:

يعد موضوع القبح ملحا رئيسيا في كتابات موريسون *Morrison*، حيث منحه مكانة محورية ضمن نصوصها الروائية، وهذا عبر بلاغة خاصة في تشييد معمارها الروائي، وشعرية فريدة صنعت في الأخير جمالية القبح في النص الروائي الموريسوني (نسبة لطوني موريسون)، وبالعودة إلى روايات الكاتبة نلمس دوما حضورا كبيرا لهذا الخطاب الإشكالي، المتعلق بالزوجة والملونين وطبيعة العرق الأسود ونظرته الدونية لجنسه أولا ثم الجنس الأبيض ثانيا، فترسخت في خياله صورة الضعف والهزيمة اتجاه الجنس الآخر الأبيض، كما أنّ حضوره كان ثانويا في الرواية الأمريكية المركزية، من هنا تبدأ رحلة البحث عن الحلقة المفقودة والموضوع المنسي في السرد الأمريكي المعاصر المكتوب بأيادي بيضاء، حيث «تري

-شعرية القبح/السود في الرواية.

1-طوني موريسون والتجربة الاستعمارية

العرقية:

سارت الرواية الغربية لمدة طويلة جنبا إلى جنب مع الحركة الاستعمارية، خصوصا في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، كما أثبت ذلك إدوارد سعيد في كتابه " الثقافة والإمبريالية"، لذلك فقد ظهرت حديثا العديد من السرديات الاستعمارية في الولايات المتحدة الأمريكية، عملت على تدمير الذاكرة التاريخية للزوج والأقليات العرقية المضطهدة، واستبعدت كل ممارسة اجتماعية أو ثقافية أو دينية تخصهم مهما كان شكلها، كما اقترحت بديلا مغايرا للأشكال الأصلية من العلاقات، حينما أخضعت الزوج إلى علاقة تبعية مع السياسة العرقية المركزية، من غير احترام وتقدير لخصوصية وطبيعة العرق الأسود والملونين ودورهم في بناء الحضارة الأمريكية.

وتصنّف الكاتبة طوني موريسون *Toni Morrison*

من جيل الكاتبات الأمريكيات الأفريقيات اللواتي عايشن التجربة الاستعمارية والعرقية في الولايات المتحدة الأمريكية وهذا ما خلق نوعا من المقاومة والرد بالكتابة المناهضة للإيديولوجية العرقية الأمريكية وما خلّفته من آثار سلبية على الزوج، فشكّلت وعيا جديدا بضرورة محاربة هذه الإيديولوجيا العنصرية، والتصدي لمخططات السياسة الأمريكية الإقصائية، وهكذا تشكل وعي جديد في الكتابة الزوجية لدى موريسون *Morrison*، الأستاذة والناقدة والكاتبة، حيث عملت على التصدي لهذا النمط في التفكير ومخلفاته السلبية على العرق الأسود، وهذا عبر مشروع أدبي ونقدي وتوعوي، حيث حملت زمام المبادرة وأثبتت جرأة في الطرح، ونقد المؤسسات والأنظمة الفاعلة في صناعة هذه الصور

موريسون أن الأفريقية ظلت حقلاً مهماً وغائباً في الخطاب النقدي»⁽¹⁾، والأمريكي عمومًا، وفي نقد وتأويل السرد على وجه الخصوص، لذلك اهتمت بموضوع السواد والزوجة وبالفرد الأسود ولونه وسماته الجسدية والنفسية، وطرائق تفكيره ضمن النصوص السردية والخطابية، والسرد اللوني يعتبر نسقاً مضمراً ضمن تلك الخطابات، «فاللون كنسق ثقافي تبنى عليه تصورات وهي تحمل كلها الشيء ونقيضه كما هو شأن النسق الثقافي، حيث يكون هناك معنيان متناقضان ويتصاحبان في تجاور دائم»⁽²⁾، كما يرتبط بكل مناحي الحياة النفسية والاجتماعية، فنسق التلوين الثقافي أمر من أشد الأمور حساسية في الثقافة، واللون يعبر عن خصوصية المجتمع وتركيبته الاجتماعية وثقافته السائدة، فهو حامل لمختلف القيم والسياسية والاقتصادية، كما يلج إلى كل مجالات الحياة والثقافة الإنسانية، «الثقافة التي مارست عليه عمليات الاستعراض والتمثيل، ونصبت نفسها مركزاً للكون وصاحبة الحق والامتياز في تمثيل الآخرين والكتابة عنهم، وخصوصاً إذا كان هؤلاء الآخرون عاجزين عن تمثيل أنفسهم وذلك ما داموا لا يملكون أهم أداة من أدوات تمثيل الذات»⁽³⁾، فالأدب الأمريكي ظل حكراً على نظرات الذكر الأبيض وعبقريته وقدرته لا يمت بصلة إلى الحضور الساحق للسود في الولايات المتحدة.

فالخصائص الزنجية ظلت لأمد طويل محاطة بالصمت والغياب والإقصاء في الرواية الأمريكية المعاصرة وسرديات البيض في هذه المرحلة التاريخية، «فبظهور الرجل الأبيض في عالم الملونين اختل التوازن فوق وقع تضاد بين العالمين، تضاد في القيم والأخلاق والثقافة، وليس ثمة حل سوى إعادة إنتاج جديدة للعالم طبقاً لمعايير القيم الغربية»⁽⁴⁾، لذلك عملت موريسون *Morrison*

من خلال نصوصها إلى إعادة الاعتبار للزواج، وإسماع قضاياهم وصوتهم في المحافل الدولية، كقضايا التمييز العنصري والعبودية والعرق الأدنى، وهذا من أجل استعادة صوت المهمش والمقموع. وتقديم الصورة الحقيقية المشرقة عن السود، وكشف سياسة الإقصاء والتدنيس والإخضاع والهيمنة الممارسة ضدهم باسم السرد، وهدفها الأسمى، في مقابل ذلك الحضور الثانوي للعرق الأسود في الرواية، لذلك عملت على تصحيح المغالطات الاستعمارية، وتعرية الحقائق وإعطاء الصورة الحقيقية والمغيبة للزواج، والدفاع على هذا العرق البشري، الذي هو دفاع عن ذاتها باعتبارها متلقية زنجية، وفوق هذا فهي تطرح هذه القضية ليس من زاوية سياسية فحسب ولكن من زاوية فنية، تريد من خلالها خلق متلق جديد لتلك النصوص السردية غير ذلك المتلقي التقليدي والمركزي المحكّر لعملية القراءة ونشاط التأويل، والبحث عن الصورة المغيبة في الخيال الأدبي الأمريكي، «فالعرق في الرواية الأمريكية يمثل إعادة اكتشاف الأدب الأمريكي وإعادة تأويله في سياق جديد هو سياق القارئ غير الأوروبي أو غير الأبيض، الذي يبحث عن ذاته وعن صورته في الخيال الروائي، أي البحث عن صنع حضور السود والزواج والأفارقة الأمريكيين في خيال الأسياد وعن تأثير الأفريقية أو الصورة السوداء في التخيل الأدبي»⁽⁵⁾، والبحث عن أنماط التمثيل الأدبي المجازي والاستعاري والرمزي الممارس في تلك النصوص وتشكيلاتها الخطابية، وبحكم أنها كاتبة حديثة تمارس التجريب الروائي، فقد لجأت إلى ابتكار وسائل فنية وأدوات تعبيرية تناسب المواضيع المحورية التي تطرحها رواياتها، وفي مقدمتها موضوع القبح، الذي يمثل استراتيجية خطابية، وموضوعاً ثقافياً، ونسقاً مضمراً داخل

نصوصها الروائية، ينبغي تعاطيه وفق طرائق خاصة من التمثيل السردى، والصور البلاغية والرمزية الموحية، التي تقوم على بلاغة التقابل والقلب، كل هذا يصنع في الأخير شعرية القبح في الرواية، وهذا ما استثمرت فيه الكاتبة.

3- سرديات القبح والسرد المضاد:

سايرت الكتابة السوداء الأوضاع التي كان يعيشها الزوج في شتى بقاع العالم، وحاولت رد الاعتبار لهذا العرق ضمن المنظومة السياسية والاجتماعية والثقافية الغربية، وتمثل سرديات القبح المتعلقة بالعرق الأسود إحدى السرد المضادة، التي تحمل روح المقاومة والثبات، حيث أعادت تشكيل خطاب سردي عن العرق الأسود بقلم الأسود نفسه، لكن عبر تمثيل يتناقض عما صورته ثقافة المستعمر، وصنعه الحبر الأبيض عبر مروياته المختلفة، وهذا وفق آليات كتابية، وطرائق في التعبير تحمل خصوصية الرجل الأسود، وقد استطاع هذا الخطاب التوغل إلى عمق القضية الجوهرية التي يطرحها، خصوصا قضية التمييز العنصري واللون والعرق والعبودية، فكان أشد فعالية في التأثير على الرأي العام العالمي، وقد اقتحم المشهد الروائي العالمي من بابه الواسع، بفضل مجموعة من الروائيين والكتّاب والكتابات في إفريقيا وأمريكا، الذين كتبوا بلغات عديدة، وحملوا همّ قضايا مجتمعاتهم ومشاكلها، وشكلوا خطابات سردية ثورية تعبّر عن صوت المهمشين من الزوج، وما كانوا يعيشونه من قهر وظلم واستغلال لا أخلاقي، وهذا ما ينطبق على طوني موريسون *Toni Morrison* التي استثمرت موضوع القبح في رواياتها بطريقة فنية، ووفق بلاغة فريدة، لتحاول فك هذه العقدة التاريخية المتعلقة بالعرق الأسمر والأدنى، وتعيد الاعتبار للجنس الأسود.

4- العنوان مطالعا لشعرية القبح:

يحتل العنوان مكانة مرموقة ضمن النصوص السردية والخطابية، كما يعتبر علامة إجرائية ناجحة في مقارنة النص بغية استقرائه وتأويله، «فهو يعدّ علامة سيميائية ذات أبعاد دلالية وأخرى رمزية تغري الباحث بتتبع دلالاتها، ومحاولة فكّ شفراتها الرامزة»⁽⁶⁾

وتنبثق أهمية العنوان من سليل العنوان، من حيث هو «مؤشر تعريفي وتحديد ينفذ النص من الغفلة لكونه -أي العنوان- الحد الفاصل بين العدم والوجود والفناء والإمتلاء»⁽⁷⁾

فالعنوان يمثل مفتاحا إجرائيا لاقتحام مجاهل النص، وهو أخطر البؤر النصية التي تحيط بالنص لأنّه يستفز القارئ ويجذبه إليه فتقع لذة القراءة، ويبرم عقد اتفاق معه والذي هو عقد القراءة أو ينفرد منه فينقطع الفعل القرائي، ويتوقف مشروع التأويل.

«ويعدّ أول عتبة تواجه المتلقي وتستوقفه، باعتبارها مفتاحا أساسيا من مفاتيح النص، إذ أنّه المحور الذي يحدّد هوية النص أو تدور حوله الدلالات وتتعلق به وهو بمكانة الرأس من الجسد»⁽⁸⁾، وهو تكثيف دلالي لها في المتن، خاصة في الخطاب الأدبي المعاصر، وهذا كله يحقق متعة القراءة، هذه القراءة التي تكشف عن الاستراتيجية التي ينتهجها المؤلف في عنونة نصه، وكذلك استراتيجيتها بالإنطلاق من العنوان في محاصرة النص ومطاردته، وهكذا فالعنوان يرتبط بنوع العلاقة الحميمة التي تربطه بالنص، وبذلك لا يمكن اعتبار وجوده مجرد وجود عفوي فارغ من الدلالة التي يكون مصدرها النص الكبير أيضا، إنّ هنا «يمثل البنية العميقة للنص الأحق والتي لا يمكن إدراكها دون حركة مزدوجة صعودا ونزولا من العنوان للنص، ومن النص للعنوان»⁽⁹⁾، كما يرتبط

في بنائه الدلالي ببعد جمالي، وخاصة في بعده البصري ويندرج هذا ضمن وظيفة أخرى تتعلق بالقارئ من حيث التأثير فيه، «فالعنوان قيمة سيميولوجية وإشارية تفيد في وصف النص ذاته»⁽¹⁰⁾، ولن تكتمل هذه القيمة السيميولوجية والدلالية إلا بربط العنوان بالنص، والبحث عن التقاطعات الدلالية الممكنة بينهما.

ما يلفت انتباه القارئ في رواية العين الأكثر زرقة لطوني موريسون *Toni Morrison* هو هذا العنوان الواضح في تراكيبه وأصواته، المتعدد من حيث الاحتمالات الدلالية، المغري من زاوية القراءة والتأويل، فعلى المستوى النحوي ورد العنوان بصيغة جملة إسمية: العين الأكثر زرقة، بصيغة اسم التفضيل، العين التي هي مبتدأ مرفوع والأكثر هي عبارة عن صفة مرفوعة، وزرقة مضاف إليه وهي دالة على اللون الأزرق، وما يلاحظ هنا هو وجود اختلال شرط من شروط صياغة اسم التفضيل، إذ جاء الفعل زرق دالاً على اللون الأزرق، ومن ثم لا يمكن صياغته مباشرة، لذلك يحتاج هنا في صياغته إلى فعل مساعد تتوفر فيه الشروط وهو (أكثر)، ويأتي بعد مصدر الفعل (زرق) غير المستوفى للشروط، منصوباً على التمييز (الأكثر زرقة)، وعلى المستوى الدلالي اسم التفضيل هنا يصاغ للدلالة على صفة زادت على صفة شيء آخر هذه الكلمة⁽¹¹⁾، التي تحمل شحنة دلالية، ذات أبعاد إيديولوجية وسياسية، فارتبطت بالجنس الأبيض والاستعمار والعدو، الذي استعبد الشعوب والأعراق المختلفة، وفي مقدمتهم الزنوج والسود، فهو يحيل إلى نسق مضمّن وخفي، وإلى سردية تاريخية سوداء ملطّخة بالدماء والمآسي، التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالإنسان الأسود وهمومه ونضاله ضدّ التمييز العنصري والعبودية والرق، فيعبّر العنوان عن كل صرخاته وصيحاته المكتومة وأسراره الدقيقة وأحلامه

المدفونة، تلك هي قمة التراجيديا الإنسانية، لها يصير اللون مطية للعبودية والقهر في مجتمع يحكمه قانون الرجل الأبيض، ويفرض منطقاً من دون مراعاة للجانب الإنساني، والحق في العيش في كنف العدالة والحرية، فيصير الأبيض مطية نحو الخوف والرغبة وانعدام الثقة، ويظهر هذا جلياً خصوصاً في مقابلة الطفلة بيكولا للرجل الخمسيني الأبيض، صاحب العينين الزرقاوين ياكابوسكي صاحب محل الحلويات والشوكولاتة، حيث تصفه الساردة: «يلوح رأس السيد ياكابوسكي الرمادي من فوق الطاولة، يرفع عينيه بعد أن كان مستغرقاً في التفكير ليواجهها عينان زرقوان كليتان. يتحرك ببطء مثل سيف هندي تدريجياً، وبشكل غير محسوس باتجاه الصيف، ينظر اتجاهها»⁽¹²⁾، وقد تجنب لمس يدها وهو الشاد جنسياً، حيث يلاحق الفتيات الصغيرات، ويريد إظهار الإنسانية والعطف والرحمة، لكنه يخفي نوعاً من النفاق الديني والخداع والحق، فقد طلبت الطفلة الصغيرة بيكولا منه العينان الزرقاوان، وكانت ترغب فيهما كأمنية للهروب من الظلم والضرر الذي يسببها لها اللون الأسود، الذي خلق لها عقدة نفسية، فجسدها وصوتها كانا يمثلان الخزي والعار، حيث ترى نفسها في أسفل التصنيف اجتماعياً، تقول: «كنت أشعر بالاشمئزاز في جسدي والربع من تلك العيون المدوّرة البلهاء، والوجه المسطح والشعر المجعد»⁽¹³⁾، في حين كانت ترى الأبيض النموذج الأسمى للجمال رغم انعدام الثقة فيه، فعيناه جميلتان لا غير لكنهما من منظور نيكولا خبيتان، فحركاته توحى بنوع من الكبرياء والنظرة الدونية للبنات السوداء، التي خضعت لقدرها المحتوم، فالجمال يمثلّه العرق الأبيض وحده، باعتراف العرق الأسود نفسه ممثلاً في شخصية بيكولا، وهو النموذج الأرقى في المجتمع، وهذا ما تشكل في

المتخيل الفردي لها، «فقد تشكل جزء كبير من صورة البيض عن أنفسهم كرد فعل لما يعتقدون أن السود ليسوا عليه، فإنّ البيض يفهمون أنهم الأسمى فكريا وثقافيا، فحينئذ تدلّ صورة السود على الجهل والبربرية، وكان من الضروري الحفاظ على هذه الأفكار بخضّ النظر عن عم دقتها الشديدة، وكانت إحدى الطرق هي خلق سياق لا يكون فيه للسود خيار سوى العمل طبقا لتوقعات البيض»⁽¹⁴⁾، بدون أدنى اعتبار إنساني يعطي للفرد الأسود الحرية في العيش داخل مجتمعه، وتسيير شؤونه الاجتماعية والاقتصادية والنفسية، فلا أحد ينظر إلى وضعية الفرد الأسود، ولا أحد وقف عند هموم الزوج، الذين راحوا ضحية القوانين المجحفة، والصور النمطية التي تشكّلت حولهم، ليدفعوا الثمن باهظا، ويرمى بهم إلى حافة العبودية والاستغلال، فرواية العين الأكثر زرقة هي سنفونية لكل المقموعين والمهمشين من الزوج، ومعها يصبح اللون الأزرق المعراج الذي يقود إلى جنة الإنسانية الضائعة، والحلم المنشود، «في كل ليلة كانت تصلي بانتظام، من أجل عيون زرقاء لسنة كاملة ظلت تصلي بحرارة»⁽¹⁵⁾، والرغبة في معاقبة العالم الميتافيزيقي والبحث عن حلول لاهوتية، من خلال التضرع إلى الله، كانت تمثل لحظة الخلاص من عقدها الأبدية، حيث تزيل عنها عقدة النقص، والخجل الذي أصابها نتيجة لونها الأسود، وكأن الله ابتلاها به وحرّمها من لونها المفضل اللون الأزرق، وهذا الطموح، «يصل إلى القمة مع أمنية بيكولا الراحلة إلى الجنون بأن تحلّق إلى سماء العينين الزرقاوين»⁽¹⁶⁾، باحثة عن النور الذي يبعث مشاعر الحب والعشق للإنسانية، وهو يبدأ منذ فترة الطفولة، التي تمثل زمن البراءة والنقاوة، وانعدام الأحقاد والضغائن، التي تفرّق بين بني البشر، وهذا ما عاشته البطلة بيكولا في

طفولتها، «بدأ هذا الشعور مع أعياد الميلاد وتقديّم الدمى كهدايا. كانت الهدية الكبيرة الخاصة والمحبة هي دائما "بيبي دول" الزرقاء العينين»⁽¹⁷⁾، إنّ هذا المقطع الوصفي يقف على مجموعة من التفاصيل الدقيقة، المحفورة في تجاعيد ذاكرة بيكولا الطفلة البريئة، حيث نجد فيه اشتغال كثيف على عنصر اللون، وأخص بالذكر اللون الأزرق، «عيون جميلة عيون زرقاء جميلة. عيون واسعة زرقاء جميلة أركض يا جيب أركض. أليس تركض. أليس تملك عيوننا زرقاء. جيرى يملك عيوننا زرقاء. جيرى يركض أليس تركض. إنها يركضان بعيونهما الزرقاء. أربع عيون زرقاء جميلة. عيون بزرقاء السماء. زرقاء مثل بلوزة مستر فورست. زرقاء مثل نجمة الصباح. أليس وجيرى عيون حكايات زرقاء»⁽¹⁸⁾، إنّ هذا التوق نحو اللون الأزرق، خصوصا لما يتعلق الأمر بالأطفال يحمل العديد من الدلالات الرمزية، خصوصا مع تكرار اللون والركض، وهذا ما يخفي نسقا مضمرا داخل العمل الروائي، مفاده أنّ العرق الأبيض هو الأسرع والأكثر حضارة وتفوقا عن باقي الأجناس الأخرى، ومادام الإنسان يولد بهذه العيون، فهو الأوّل دائما في ركب الحضارة والتقدم. فمن خلال المقطع تجلت قدرة الكاتبة على تفجير طاقة اللغة اللسانية، من خلال تفجير طاقة الدوال اللغوية، التي تؤدي وظائف رمزية وإيديولوجية، وممارسة لعبة الانزياح على مستوى التراكيب والصور، وهذه التوابل الفنية تمارس دورها الجمالي داخل النص الروائي، والكاتبة تعمّدت ممارسة هذا الاختراق على مستوى الأسلوب والصورة، لتشيّد بلاغة خاصة لنصوصها السردية، تجنّبها الوقوع في سرديات الظلام المتداولة على مستوى الكتابة، لتصنع لنصّها متلقي نموذجي لا يرتبط بالأبيض فقط، على اعتبار أنّ أغلب أبطالها هم من البيض، وهي الكاتبة والمحللة

وتحرّك المجتمعات»⁽²¹⁾، وهذا يستدعي من الكاتب وعيا تاريخيا في مقاربة الحادثة التاريخية، هذا الوعي الذي ظهر كمفهوم حقيقي «مع هانز جورج كادامر الذي وصف التاريخ كتخصص يسمح بفهم موضوع الماضي بإعادة وضعه في الزمن من أجل التمكن من فهم الحاضر»⁽²²⁾، الذي يفترض وعيا تاما من قبل الانسان ككائن تاريخي قبل كل شيء، و«هكذا تحوّل الوعي التاريخي إلى أن صار وعيا بانتمائنا إلى التاريخ والذي يتجاوز المعرفة التي لدينا عنه، ويثبت الانسان الوعي التاريخي حين يسعى جاهدا لفهم انتمائه الخالص للزمن أو أيضا إلى التاريخ»⁽²³⁾، وقد انطلقت هذه الفكرة بداية من القرن 19م أين تطورت الأبحاث التاريخية، بحكم ظهور تحولات ومتغيرات جديدة شهدها المجتمع الغربي على مختلف الأصعدة، السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وهذا ما شكّل وعيا جديدا تشرب بمعطيات الحضارة الجديدة مع عصر الأنوار، وهذا الوعي الجديد ساهم في إذابة الجليد، وتقريب المسافة بين الرواية والتاريخ، ومن ثمّ التحوّل الإيجابي بينهما.

لذلك لم تعد الرواية سردا لأحداث تاريخية وقعت في الماضي، بل كما قال جورج لوكاتش *Georg Lukács* «إنها تثير الحاضر ويعيشها المعاصرون بوصفها تاريخهم بالذات، يعيش البشر وقائع زمن مضى كوقائع حاضرة يعيشونها بالذات بسبب كتابة روائية تحاور زمنا وهي تكتب زمنا مختلف عنه»⁽²⁴⁾، والروائي وعبر وعيه الفني الذي يضاف إليه هذا الوعي التاريخي، لا يترك الحادثة التاريخية تسبح في زمن واحد، بل ويفسح المجال لتعدد الأزمنة التي هي الأخرى تتحوّل مع بعضها البعض، لتحاول تفسير مآزق الانسان المعاصر في خضمّ المعطيات التاريخية المعاصرة وما تعرفه من تناقضات وصراعات.

النفسانية، التي مارست النقد، والمطلعة على نصوص الكتاب الزنوج، وما ألف حولهم من قبل البيض، تقول طوني موريسون: «إننا جميعا يحجب عنّا الكثير ونحرم منه عندما يظل النقد أكثر تهذيبا أو أشدّ خوفا من أن يلاحظ الظلام المثير للقلق أمام عينيه»⁽¹⁹⁾، هكذا تمارس الكاتبة تحليلا للعقل الزنجي والأبيض، من وجهة نظر شخصياتها الروائية، وسردها المكثف، والمؤثت بأشكال عديدة من الانزياحات اللغوية، وهي من وراء هذا الاستثمار في اللغة، تريد إظهار معاناة العرق الأسود من بوابة السرد اللوني، والنظر إليه بعين العطف والشفقة، لتعطي القضية بعدا إنسانيا عالميا، وتعالجها من منظور أدبي وفني لا سياسي.

5- الرواية التاريخية عند طوني موريسون

وسؤال اللون:

تعدّ الرواية الجنس الأدبي الذي يمتلك القدرة على الحفر في الزوايا المظلمة والمناطق المهمشة داخل التاريخ المؤسّساتي بمختلف تمظهراته، سواء بطريقة مقصودة أو غير مقصودة، فهي تحاول دوما تشرح هذا الخطاب الرسمي، ووضعه موضع مسألة ونقد وتمحيص، فهو ليس بريء في أغلب الأحوال، لذلك تعمل على تعرية النسق الكامن في داخل هذا الخطاب «فالنسق الثقافي خطر وخطورته في كونه نسقا مضمرا وكامنا حيث يمارس دوره دون رقيب، وحينما يأتي النقد لكشف هذه الأنساق فإنه بذلك يحرك سكونا ذهنيا وبشريا كان مطمئنا»⁽²⁰⁾، فيحلل هذا الخطاب الروائي التخيلي، ويفكّك الحادثة التاريخية، ويغوص في تفاصيلها الدقيقة، وينبش في مواطن الغموض والإبهام فيها، عن طريق المتخيل «الذي هو نسق من التصورات والتمثيلات والقيم والافتراضات المشتركة جماعيا والتي تتمتع بحضور قوي وفاعل في الممارسات التي تؤثر في الأفراد

وهذا الأمر ينطبق على الرواية الأفروأمريكية، وروايات طوني موريسون *Toni Morrison*، خصوصا رواية "العين الأكثر زرقة"، فالكاتبة تستثمر أحداث التاريخ في روايتها هاته، وتسترجع فترة مهمة من تاريخ الزنوج في أمريكا، ولأنّ الرواية التاريخية هي «خطاب أدبي ينشغل على خطاب تاريخي مثبت سابق عليه انشغالا أفقيا، يحاول إعادة إنتاجه روائيا، ضمن معطيات آنية، لا تتعارض مع المعطيات الأساسية للخطاب التاريخي»⁽²⁵⁾، فإنّ النص الروائي التاريخي يطرح مفارقة مهمة، وهي كيف يلتزم الروائي بالحقيقة التاريخية، وهو بصدد سرد يتطلب منه انتقاء جملة من الاستراتيجيات الخطابية، التي تنتج في النهاية أثرا تخييليا لدى القارئ، لأنّ نقل الحوادث التاريخية يمرّ عبر أدوات سردية، وقنوات خطابية تسهّل على القارئ مهمة تصور تلك المشاهد وإعادة تشكيلها، من أجل تحقيق أكبر قدر من المطابقة بين الحقيقة التي ينتجها هو وبين المرجع الذي ينطلق منه، وهذا يتطلب وعيا فنيا بطبيعة الخطاب الروائي التاريخي وتفاصيله الدقيقة، الذي يبعد الكاتب عن تلك اللغة التقريرية والسرد الخطي للأحداث، ليكسر هذه النمطية الزمنية، وهذا من خلال لعبة التجوال بين الماضي والحاضر والمستقبل، من أجل تفكيك هذه الأزمنة ومساءلة الراهن واستشراف المستقبل، وهذا هو الدور الحقيقي الذي تلعبه الرواية التاريخية ضمن الوضع التاريخي الراهن.

وهذا ما نلمس له حضورا كثيفا في السرد الموريسوني (نسبة لطوني موريسون) *Toni Morrison*، حيث تطرح الكاتبة مواضيع عدّة ومتنوعة، ومن أهم هذه الموضوعات التي يطرحها هذا السرد نجد قضية اللون، الذي يعدّ السمة البارزة في نصوص موريسون *Morrison*، كنسق

مضرر يلقي بضلاله على سطح النصوص، «فاللون كنسق ثقافي تبنى عليه تصوّرات وهي تحمل كلها الشيء ونقيضه كما هو شأن النسق الثقافي، حيث يكون هناك معنيان متناقضان ويتصاحبان في تجاور دائم»⁽²⁶⁾، كما يرتبط بكل مناحي الحياة النفسية والاجتماعية، فنسق التلوين الثقافي أمر من أشدّ الأمور حساسية في الثقافة، واللون يعبر عن خصوصية المجتمع وتركيبته الاجتماعية وثقافته السائدة، فهو حامل لمختلف القيم والسياسية والاقتصادية، كما يلج إلى كل مجالات الحياة والثقافة الإنسانية، ولما يحضر في السرد الروائي فإنه يتقمّص العديد من الأدوار، ليعبر عن موقف الأسود، وانتقاده للنظرة الدونية له، والصورة الباهتة المروّجة عنه، عبر سرديات القبح، التي ترتدي ألوان عديدة ضمن منظومة السرد، ففي رواية العين الأكثر زرقة تظهر سرديات القبح من خلال وصف الشخصية، حيث تصف الساردة في مقطع سردي أحد أبطال الرواية وهو كولي بريدلوف فتقول: «وبعد أن قذف بعائلته إلى العراء حكم كولي بريدلوف، وهو مستأجر أسود على نفسه بالدمار خارج كل الاعتبارات الإنسانية، لقد انضم إلى فصيلة الحيوانات، وفي الحقيقة كان هو نفسه كلبا عجوزا، أفعى، زنجيا شبيها بفأر»⁽²⁷⁾، هذا المقطع السردى الحابل دلاليا يعيد المتلقي إلى زمن العبودية والتمييز العنصري في الولايات المتحدة الأمريكية في العصر الحديث، خصوصا خلال بداية القرن العشرين، وما شهدته الزنوج من معاناة وممارسات غير أخلاقية وإنسانية، ومشاهد عدوانية في حق هذه الفئة المهمشة من المجتمع الأمريكي، التي تظهر حقد الجنس الأبيض على الأسود، والنظرة الدونية لهذا العرق البشري، الذي يبحث عن مكانته الحقيقية في المجتمع الأمريكي، وفي نيويورك التي تمثل خليطا كبيرا من الأعراق

القبج بمختلف أنماطه وعبر مختلف عناصر السرد، لأنه يشيد في النهاية شعرية الفضاء الروائي.

6-شعرية القبج / السواد في الرواية:

الرواية فضاء للصراعات الإيديولوجية وحقل سردي لطرح المسائل الجوهرية التي يعيشها الإنسان في مختلف بقاع العالم عبر أنماط من التمثيلات والصور البلاغية والأسلوبية وطرائق التعبير الرمزية، والرواية الأفروأمريكية تمثل نمطا سرديا فريدا في طرح هموم الإنسان الأسود، فسرد الزنوجة ليس فقط استثمار للأحداث التاريخية الماضية، ونفض الغبار عن الذاكرة التاريخية، وإنما هو سرد يشتغل على اللغة ويفجر مختلف إمكاناتها التعبيرية، ليثبت وجوده ومقدرته والردّ بالكتابة ذاتها، «الثقافة التي مارست عليه عمليات الاستعراض والتمثيل، ونصبت نفسها مركزا للكون وصاحبة الحق والامتياز في تمثيل الآخرين والكتابة عنهم، وخصوصا إذا كان هؤلاء الآخرون عاجزين عن تمثيل أنفسهم وذلك ما داموا لا يملكون أهم أداة من أدوات تمثيل الذات»⁽³⁰⁾، فهذا الردّ بالكتابة واللغة يعدّ مقاومة للسرد الأبيض، وإثبات لوجوده ضمن خريطة الأدب العالمي، وهذا يحضر من خلال العديد من المقاطع الوصفية، التي تمثل قبج الزنوج من الناحية الخلقية، وهذا باستخدام بعض التوابل الفنية، كتقنية القلب الإيديولوجي والتضاد، وتقنيات التمثيل في السينما، فالرواية خطاب تمثيلي قبل كل شيء، تمارس نشاطها اللغوي عبر تقنيات سردية تحمل أبعادا إيديولوجية عميقة، كما أشار إلى ذلك لويس ألتوسير *Louis Althusser*، وهذا ما يظهر ضمن روايات طوني موريسون *Toni Morrison* وفي رواية "العين الأكثر زرقة"، حيث حاولت الكاتبة نشر فكرة القبج عبر مجموعة من الشخصيات، حيث تقدم الساردة وصفا تفصيليا

والأجناس والأقليات المضطهدة، خصوصا الزنوج لتأتي طوني موريسون *Toni Morrison*، لتنفض الغبار عن هذه المرحلة السوداء في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، التي شهدت بدورها استمرار عملية الإقصاء والتصفية في حق الزنوج أصحاب البشرة السوداء، بحكم استمرار تلك الصورة القائمة عنهم، كعرق يعارض قيم الحضارة والتمدن، وهذه الأحداث والمشاهد السردية، فرضت على المبدعة استثمار مختلف الإمكانات اللغوية والأدوات التعبيرية، التي تتيح لها معاشة هذه الأحداث عن قرب، وبشيء من التفصيل، وذلك من خلال اعتماد مجموعة من التقنيات اللغوية التي تساعدها على طرح أهم القضايا التي تريد تبليغها للقارئ، فاللغة تحمل من الفتنة والسحر ما يجعلها أكثر استفزازا للمتلقين، فهي كهف من الأسرار الحافل بالجواهر النادرة من الصور والاستعارات البلاغية والانزياحات الأسلوبية، التي أثبت المعمار الروائي لنصوصهم الروائية، فالرواية «تمثل الفضاء الذي يشهد انكشاف علاقات القوة والهيمنة بين الجماعات والثقافات والهويات»⁽²⁸⁾، وهذا ما استثمار فيه الكتاب السود في أمريكا، وفي مقدمتهم طوني موريسون *Toni Morrison*، وهذا بشهادة مترجم روايتها إلى العربية، الذي يقول: «إنّ ما يفعله السود بصوت اللغة بخواصها النغمية شيء فائن، حتى إنك لا تحتاج إلى الاعتماد على المعجم، ويمكن أن يكون لديك معجم محدود جدا، إنّ موسيقية اللغة تتأكد في كلام السود، معارضة الكليات، وخلق أنواع معينة من الصور في اللغة شاعرية أيضا، وأشكال القلب الممتعة، قبل اللغة لتعني تقيضها، إنها إحدى وسائل التمكن من اللغة»⁽²⁹⁾، وهذا التحكّم في أدوات اللغة تقابله الطريقة الفريدة في الوصف، خصوصا في وصف

للزنج، يقف على الخصائص الفيزيولوجية للجسد الأسود: «أنوف قوية لكنها معقوفة ذات مناخر شامخة، عظام وجنات بارزة وأذان ملوية إلى الأمام، شفاه جميلة لا تجتذب الانتباه إليها وإنما لبقية الوجه، تنظر إليهم فتتعجب لماذا هم قبيحون وحين تنظر إليهم عن قرب أكثر لا تستطيع أن تجد مصدر هذا القبح ثم تدرك أن ذلك نابع عن اقتناع منهم كما لو أن سيدا غامضا عارفا بكل شيء أعطى لكل منهم ساعة قبح ليلبسها وكل منهم قد قبل ذلك راضيا كان السيد الغامض قد قال "أنتم أناس قبيحون"، فنظروا إلى أنفسهم فلم يروا شيئا يناقض هذا الإعلان، بل رأوا في الواقع دعما له يطل عليهم من كل لوحة إعلان، وكل فيلم وكل لمحة لقد أخذوا القبح بأياديهم ورموه فوقهم مثل عباءة واخذوا يطوفون العالم معه، كان كل منهم يتعامل معه حسب طريقته، فقد استخدمته السيدة بريدلوف كما يستخدم ممثل البروفة: علاقة الشخصية مع الشخصيات الأخرى ودعم دور تصوّرت مرارا أنه دورها: الشهادة، واستخدم سامي قبحه كسلاح ليسبب الألم للآخرين، كان يكيّف سلوكه معه ويختار رفاقه على أساسه، الرفاق الذين يمكن أن يذهلهم وحتى يرهبهم هذا القبح»⁽³¹⁾، فهو تعويض عن عقدة النقص المرتبطة بلونه الأسود اتجاه الآخر الأبيض، وممارسة نوع من التطهير الذي يخلصه ويجعله يتجاوز هذا الحاجز النفسي، من خلال تقمص هذا الدور السردى، الذي يشيد جمالية اللغة السردية، عبر هذه الجملة الثقافية، والأمر نفسه ينطبق على شخصية بيكولا، «لقد توارت وراء قبحها، مخفية، محجبة، منكسفة نادرا ما تختلس النظر وراء حجابها، وإذا فعلت ذلك، فإنها تفعله لتحنّ إلى قناعها فقط»⁽³²⁾، فهذا الخضوع، وهذا الحنين إلى القبح هو نتيجة إفرازات سياسية، واجتماعية، ونفسية، عاشها الزوج

خلال مراحل تاريخية، فانعكست على سلوكياتهم وتصرفاتهم، وما بيكولا إلا جزء من هذا التاريخ الأسود، و«هذا الالحاق الشديد على القبح وعلى استسلام الابطال له وتأكيده أن قبح البدن ترك ليغزو الروح، من خلال الاستسلام له ومن خلال القبول بالأسطورة السائدة عن الجمال»⁽³³⁾، فالجمال يرتبط بالأبيض فقط، هذا القناع الذي لا يمكنها التخلص من شبحه وأوهامه وكوابيسه التي تلاحق بيكولا في كل لحظة من لحظات حياتها كأثني سوداء اللون، وهذا ما تشكل في المتخيل الفردي لها، من أن العرق الأبيض هو صاحب الثقافة النقية والعرق الصافي والجمال الطبيعي، في مقابل إسناد الوحشية والتخلف للعرق الأسود، وهذا ما ساهم في ترسيخ هذه الصورة لدى السود أنفسهم، الذين لا يمكنهم تمثيل أنفسهم أمام سلطة البيض، الذي يمثل النموذج الأسفى في الجمال، وترسيخ مركزية البيض وسلطتهم تجسّدت من خلال كره لونهم وحب اللون الأزرق، لكن هذا الجمال يخفي خلفه نوعا من الحذر والخوف وفقدان الثقة، فالعيون الزرق عادة ما ترمز للعدو، وتجلّى هذا من خلال مقابلة الفتاة الصغيرة بيكولا للرجل الخمسيني، حيث يقابل هذه الفتاة السوداء الصغيرة، التي انتابها نوع من القلق والرعب اتجاه هذا الرجل الأبيض التي رأت فيه «الاهتمام والازدراء بل وحتى الغضب في عيون الذكور من الكبار... في مكان من الحفن الأسفل يكمن النفور، ولقد رآته قابعا في عيون كل البيض»⁽³⁴⁾، وهكذا فإن النفور لابد أن يكون نفورا من سوادها، فكل شيء في هذه الصورة الشعرية يوحي بالاشمئزاز من اللون والخلقة، ومن ثم النفور في عيون البيض، وهذا ما يأكده المشهد الوصفى للطفلة بيكولا، حيث «تشير بأصبعها إلى حلوى مارين جبن، أصبع صغير أسود أسطواني، طرفه مضغوط على واجهة عرض

الروائية الزنجية الأخرى في إفريقيا وأمريكا، سواء المكتوبة بالإنجليزية أو الفرنسية، فالكاتبة حاولت أن تفكك هذا الموضوع بوحي تاريخي وفني مختلف، والأكد لها يكون هناك وعي تاريخي ممزوج بوحي فني داخل النص الروائي، الذي يستثمر المواضيع الثقافية الحساسة التي لها صلة بالتاريخ والسياسة، كمواضيع من قبيل اللون والعرق والقبح ومسألة الزنوجة، سوف يتشكل نص مقاوم وثوري بامتياز، نص يعيد بناء الحدث التاريخي من منظور فني يخص المبدعة نفسها، ليحاول الحفر في هذا المشهد التاريخي، والكشف عن مختلف الأطراف الفاعلة التي صنعت هذه السرديات العنصرية، وصنعت الصورة النمطية عن الجنس الأسود.

خاتمة:

في ختام هذا الدراسة يمكننا الخروج بمجموعة من النتائج المتعلقة بهذا البحث، والتي يمكن اختصارها فيما يلي:

- يمكن القول أن قضية الزنوجة كان لها حضور قوي في المتن الروائي لطوني موريسون *Toni Morrison*، خصوصا رواية "العين الأكثر زرقة"، فكانت مواضيع العرق واللون والقبح هي المرجعية الأولى للحكي، كما شكّل الشغل الشاغل الذي سكن أغلب رواياتها وشخصياتها المختلفة، وأثّر معمارها القصصي وفضاءها التخيلي من الداخل، خصوصا لما يتعلق الأمر بالروايات التي تشغل على تاريخ المهمشين والمقموعين والمقصيين.

- الكتابة عند طوني موريسون *Toni Morrison* هي نوع من السرد المضاد، والردّ بالكتابة، والبحث عن الاعتراف، ومرتبطة ارتباطا وثيقا بفعل المقاومة والتحدّي والصمود، خصوصا ما يرتبط بحياة وأفعال الفقراء والكادحين من

الحلوى، تأكيد غير عدواني على نحو هادئ لمحاولة الطفلة السوداء التواصل مع رجل أبيض بالغ⁽³⁵⁾، لكن الرغبة في التواصل يقابلها سلوك مضاد ومضمر من قبل الفتاة الصغيرة، التي ترسخ في ذهنها وفي لا وعيها تلك الصورة المرعبة عن عالم البيض، حتى وإن أظهروا نوعا من الطيبة والإنسانية مع السود، وهكذا يبرز مفعول اللاوعي الجمعي كمنشأ إيديولوجي مؤثر على وعي الجماعة والأفراد كما في رواية العين الأكثر زرقة، من خلال شخصية بيكولا، وبحكم أن المتخيل يرتبط بالواقعي في أغلب الأحيان، فإن الكاتبة تمتلك الأدوات التعبيرية اللازمة التي تجبّ بها المتلقي رتبة التاريخ أو هيمنة المتخيل، ومن ذلك الاعتماد على تقنية الوصف الدقيق، الذي يقف عند جزئيات الظاهرة من أجل إظهار النسق الثقافي اللوني المضمّن داخل الخطاب الروائي، وتحدي الإيديولوجية الأمريكية السائدة التي تعمل على إقصاء الزنوج.

فهذه الرواية تسرد واقعا تاريخيا مفككا ومشوّها، يتجاوز ما هو مكتوب في الذاكرة التاريخية الرسمية، وهذا عبر تمثيل سردي يستثمر وعيا جديدا في الكتابة الروائية التاريخية، يقوم على الاستثمار في اللغة وجمالياتها، فالرواية بدورها تسرد تاريخها الخاص بها، من منظور الكاتبة نفسها، التي تقوم بعجن تلك الأحداث التاريخية، وتقوم بتبيلها ببعض التوابل الفنية، فتبثّ فيها من روحها الإبداعية لتصنع وليمة أدبية تغري المتلقي وتفتح شهيته القرائية في ممارسة مختلف التأويلات والقراءات.

ورواية "العين الأكثر زرقة" لطوني موريسون *Toni Morrison* لا تخلو بدورها من مواضيع القبح واللون والعبودية والتمييز العنصري، لكن من زاوية التمثيل السردية، وطريقة طرحها للقضية فنيا، تختلف عن النصوص

جديدة، تحاول الإجابة عن هذه التساؤلات المختلفة.

وفي الأخير يمكن القول أنّ طوني موريسون *Toni Morrison* أعادت الاستثمار في خطاب القبح من أجل تشييد فضاءها الروائي، على غرار المنجز الروائي للكتاب الزوج في الأدب الأفرو أمريكي، لكنها اشتغلت على هذا الموضوع بوعي فني مختلف، فأعادت تشكيل هذا الخطاب من منظور تخيلي ووفق منظور المبدعة، وهذا الدور الأكبر الذي تؤديه الرواية، انطلاقاً من نبشها في المناطق المهمشة، محاولة سدّ الفجوات التي خلقتها الصورة النمطية عن الجنس الأسود، ونقد ما صنعتها المؤسسات الإمبريالية في حق هذا العرق البشري، وتحليل الأسباب التي رسّخت النظرة الدونية للعرق الأسود، حتى يتجاوز عقده ونظرته إلى الرجل الأبيض.

الزواج، وهذا من أجل إعادة تشكيل خطاب ثوري يستثمر الذاكرة التسجيلية، التي تعيد تسجيل الأحداث التاريخية كما عاشتها الكاتبة نفسها، ودوّنتها الثقافات المركزية المهيمنة.

- من خلال هذه الرواية انتقل خطاب القبح عند طوني موريسون *Toni Morrison* من خطاب تاريخي تسجيلي إلى خطاب تخيلي فني يشتغل على لغة الاستعارة والقلب، فهي تتلاعب بالكلمات والأشكال التعبيرية، من أجل تشكيل نص فني فريد، يقدم قراءة دقيقة تقف عند كل ما هو مهمّش ومنفي في ثقافة الزوج، والتي لا تدخل ضمن حسابات التاريخ المؤسّساتي والذاكرة الجماعية، وهذا ما صنع شعرية القبح ضمن النص الروائي.

- الرواية عند طوني موريسون *Toni Morrison* على وجه الخصوص ليس خطاباً ضد الجنس الأبيض في حدّ ذاته، وإنّما هو خطاب ضد الفاعلين في صنع هذا التمثيل السردي السلطوي، وتصوير لما يعاني منه الزوج والسود من عبودية وتمييز عنصري في المجتمع الصناعي والحضاري المعاصر، وهو خطاب ضدّ الإيديولوجيا الأمريكية المعاصرة، حيث تحاول الكاتبة الولوج إلى عمق هذه الظاهرة، لتحاول تحليلها بمنطق عالم اجتماع، ولغة أديب وفنان، محاولة تفكيك أشكال التمثيل والصور النمطية الراسخة في اللاوعي الجمعي.

- في هذه الرواية تعيد طوني موريسون *Toni Morrison* مسائل ظاهرة العبودية والتمييز العنصري والنظرة الدونية للزوج، وتطرح موضوع القبح، لتظهر كل ما هو مغيب في الذاكرة المعهودة، فانتقل هذا الخطاب من الواقع إلى المتخيل، ليعاد صياغته بشكل جديد وبلغة

الهوامش والإحالات:

- (1) طوني موريسون: الآخر في الخيال الأدبي، تر: محمد مشبال، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2018، ص29.
- (2) نادر كاظم: تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004، ص11.
- (3) المرجع نفسه: ص165.
- (4) عبد الله إبراهيم: التخيل التاريخي السرد والامبراطورية والتجربة الاستعمارية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، الأردن، ط1، 2018، ص267.
- (5) المرجع نفسه: ص35.
- (6) بسام قطوس: سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط1، 2001، ص33.
- (7) خالد حسين حسين: في نظرية العنوان-مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية-، دار التكوين للنشر، دمشق، (د.ط)، 2007، ص5.
- (8) جميل حمداوي: السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، مج 25، ع3، 1997، ص100.
- (9) رشيد يحيى: الشعر العربي الحديث (دراسة في المنجز النصي)، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، (د.ط)، 1998، ص110.
- (10) عثمان بدري: وظيفة اللغة في الخطاب الروائي عند نجيب محفوظ، موقف للنشر، الجزائر، (د.ط)، 2000، ص30.
- (11) ينظر نادين زكريا: الميسر في الصرف والنحو، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2002، ص226.
- (12) طوني موريسون: العين الأكثر زرق، تر: فاضل السلطاني، دار الطليعة الجديدة، سوريا، ط1، 1997، ص40-41.
- (13) الرواية: ص17.
- (14) نادر كاظم: تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004، ص47.
- (15) الرواية: ص39.
- (16) الرواية: ص14.
- (17) الرواية: ص16.
- (18) الرواية: ص39.
- (19) الرواية: ص15.
- (20) نادر كاظم: تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، ص10.
- (21) المرجع نفسه: ص29.
- (22) جماعة من المؤلفين: أبحاث في الرواية العربية، منشورات مختبر السرديات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ابن مسيك، الدار البيضاء، 2015، ص200.
- (23) المرجع نفسه والصفحة نفسها.
- (24) فيصل دراج: الرواية وتأويل التاريخ نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت-الدار البيضاء، ط1، 2004، ص263.
- (25) نضال الشمالي: الرواية والتاريخ بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية، عالم الكتاب الحديث، الأردن، ط1، 2006، ص117.
- (26) نادر كاظم: تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، ص11.

12. نادين زكريا: الميسر في الصرف والنحو، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2002.
 13. -نضال الشامي: الرواية والتاريخ بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية، عالم الكتاب الحديث، الأردن، ط1، 2006.
-
- قائمة المصادر والمراجع:**
1. طوني موريسون: العين الأكثر زرقة، تر: فاضل السلطاني، دار الطليعة الجديدة، سوريا، ط1، 1997.
 2. طوني موريسون: أكثر العيون زرقة، تر: كامل يوسف حسين، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 1995.
 3. بسام قطوس: سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط1، 2001.
 4. جميل حمداوي: السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، مج 25، ع3، 1997.
 5. -جماعة من المؤلفين: أبحاث في الرواية العربية، منشورات مختبر السرديات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ابن مسيك، الدار البيضاء، 2015.
 6. خالد حسين حسين: في نظرية العنوان-مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية-، دار التكوين للنشر، دمشق، (د.ط)، 2007.
 7. فيصل دراج: الرواية وتأويل التاريخ نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت-الدار البيضاء، ط1، 2004.
 8. رشيد يجباوي: الشعر العربي الحديث (دراسة في المنجز النصي)، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، (د.ط)، 1998.
 9. عبد الله إبراهيم: التخيل التاريخي السرد والامبراطورية والتجربة الاستعمارية،
 10. -عثمان بدري: وظيفة اللغة في الخطاب الروائي عند نجيب محفوظ، موفم للنشر، الجزائر، (د.ط)، 2000.
 11. -ناذر كاظم: تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004.